20150520-0002-7

www.assafir.com

السفير

فنون وعلوم

تاريخ المقال: 2015-05-20 01:40 AM

وردة للذين تساقطوا وهم يسألون «مفقودو لبنان وينن؟»

سعدى علوه

عندما تسلمت رئيسة لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين خلال الحرب الأهلية وداد حلواني ملف تحقيقات لجنة العام 2000 من الحكومة اللبنانية، وقفت في ساحة السرايا الحكومية ووجهت كلامها، أولاً، وقبل أي كلام آخر، إلى كل الأمهات والآباء الذين رحلوا عن هذه الدنيا قبل أن يعرفوا مصير أحبتهم الذين غادروهم ذات يوم أسود ولم يعودوا.
تذكرت أن من حقهم أن يعرفوا أن نضالهم على مدى ثلاثة عقود أثمر على الأقل انتزاع ملف التحقيقات بقضية أبنائهم من الدولة بقوة القضاء.
واليوم وعند الرابعة من بعد الظهر، أمام نصب الجندي المجهول في المتحف، تعود لجنة أهالي المفقودين وحملة «حقنا نعرف» على بدء تذكّر الذين تساقطوا ممتلئين بعذابات انتظارهم، لتختتم حملة «40 الحرب» بتكريم بعضهم، ممثلين لكل الذين غادروا قابضين على ألم الفقد والإنتظار.
تكريم تؤدى عبره التحية لمجموعة غالبيتهم من النساء، الأمهات والزوجات والأخوات اللواتي «خرجن من رحم الحرب، ضحايا الحرب، معاديات للحرب، وناضلن لإقامة السلم»، كما تقول الدعوة. لهؤلاء، الذين رحلوا، لم يبق لبعضهم ذرية تمسك بالوردة التكريمية التي يستحقونها.
ستقدم اللجنة وردة لنايفة نجار التي انتحرت بعدما يئست من معرفة مصير ابنها، ابن الـ16 عاماً، لأوديت سالم التي قتلتها سيارة صدماً وهي في طريقها إلى مواظبتها اليومية على الدوام في خيمة ذوي المفقودين أمام بيت الأمم المتحدة في بيروت. أما وردة أم نبيل فلن تجد من يمسكها بين يديه. أم نبيل، زهرة بدر قدورة، التي ابتزها الخاطفون مالياً ونفسياً ثم قتلوها بعدما لم تعد قادرة على تأمين المزيد من المال. كانت أم نبيل «هتيفة» اللجنة، بصوتها الذي يعلو مطالباً بمعرفة مصير الأحبة مع شروق شمس كل يوم.
ولتكريم أم توفيق دقدوقي اليوم معنى إضافي. تلك السيدة التي أصرت على لقاء أحد زعماء الميليشيات خلال الحرب علّها تحظى بما ينير دربها نحو ولدها المفقود. خرجت من اللقاء لتدخل المستشفى منهارة بعد وقت قصير، ولم تخرج منه إلا جثة هامدة. تقول رفيقات دربها من الأمهات أنها لم تتحمل ما سمعته والطريقة التي يتعاطى بها أصحاب الشأن مع قضيتهم.
ومن بين الأمهات الفلسطينيات ستكون وردة تكريمية لمريم عارف، التي لم تكن تغفل عن نشاط أو مسيرة أو اعتصام حاملة صورة فقيدها، ابنها العشريني الذي غادرها ذات يوم في العام 1983 وماتت وهي تسرع نحو الباب كلما دق جرس منزلها علّها تجده هناك ينتظر طلتها. عندما أقعدها المرض قبل وفاتها بقليل صارت تبرر عجزها عن الإسراع نحو الباب بالقول «معه المفتاح بيفتح وبيفوت». أما أم علي جبر، السيدة السادسة التي ستكرم اليوم، فقد عاشت لحظات أمل أكبر من مثيلاتها الراحلات عندما شهدت على تسلم ملف تحقيقات العام 2000. يومها راحت تسأل يومياً عن محتوى الملف الذي أطلقت عليه لجنة ذوي المفقودين «وثائق الكذب الرسمي»، فتجرعت عبره خيبتها الأخيرة قبل وفاتها.
ولأن عذابات الإنتظار لا تقتصر على الأمهات، تكرم اللجنة علي عوض سيف الدين، وموسى جدعون، الوالدين اللذين واظبا كما الأمهات على المشاركة في أنشطتها لأكثر من ثلاثين عاماً من جلجلة النضال. لن يكون هناك من يتسلم وردة سيف الدين بعدما توفي مع زوجته بحسرة جهل مصير ولدهما. أما عارفو موسى جدع ما زالوا ينقلون عنه حتى اليوم الأحداث التي لم يمل يوماً من تكرارها عن شقيقه وابنه اللذين فقدا معاً.
تختتم لجنة المفقودين وحملة «حقنا نعرف» اليوم 40 يوماً من حملة «40 الحرب» بعدما ملأت بها البلاد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بالسؤال الذي لم تكلف الدولة نفسها عناء البحث الجدي عن إجابة شافية عليه «وينن. مفقودو لبنان، وينن؟».